هجرة المثقفين عن الحرب ③

بقلم: هادي دانيال

تلك الضحايا ، صامدة في قبورهـا ، تنتظر اطلالة لبنان العربي الديمقراطي، بينما بيروت تمدد على اسرة التعذيب «القومي» ، مداسة بجنازير الدبابات الغازية التي ألبستها الانظمة الفاشية عباءة العروبة الزائفة، وبهذه الدبابات ايضا عاد مثقفون عرب ، كانـوا يعتبرون بيروت وطنهم الثاني، الا ان من هجـر وطنه لمجرد ان بيروت تؤمن له من المسرات والملذات الشخصية ما لا يؤمن له في قطره .. لن يخـلص لبيروت ـ الوطن الثاني ! ـ لان البرجوازي الصغير والكبير ، لا وطن له !. هؤلاء الانتهازيون آبـوا يدوسون بيروت المسربلة بالدم ، المجبولة بالجثث المسحولة المحروقة، لم يعودوا كشعراء وفنانـين ومفكرين ، بل عادوا عسسا و(نباحين) ! .

المثقفون العرب ، لم تكن الحرب الاهليـة في تفكيرهم واحاسيسهم ، اكثر مما كانت في تفكير واحاسيس اصحاب رؤوس الاموال الموظفة في لبنان. ما شعروا بأن مؤامرة دموية قيد التنفيذ الوحشي، وأن شعبين عربيين يتعرضان لابشع المجازر في تاريخ الحروب . الحركة الوطنية اللبنانية، تتعـرض لشراسة الهجمة الانعزالية، والرجعية العربيـة ، والصهيونية ، و « الوطنيون » العرب من مثقفـين ومبدعين، يعتبرون حرب لبنان ، طائفية يجب حلها بنزع السلاح ، وقمع القوات المصطرعة . الثـورة الفلسطينية التي يجري عبيرها في دم كل عربي وطني ، والتي تمسح بها كثيرا « الوطنجيـون ، والثورجيون » ، وصبغوا بدماء شهدائها وجوههم الصفراء ، هذه الثورة يقذف بها الى أتون المؤامرة ـ المحرقة ، والمثقفون والمبدعون العرب ، يبرئون انظمتهم من ارتكاب الجريمة ، ويغسلون ايـادي تلك الانظمة الملطخة بدماء شعبين مناضلـين ، بصابون التواطؤ والانتهازية !

ان الحرب الاهلية مساهمت الى حد بعيد بنـزع الاقنعة عن الوجوه ، وازالة الهالات الزائفة عـن الاسماء . ان المثقفين والمبدعين العرب الذين كانوا «يضحكون على ذقن شعبنا» ، ويدعون انتماءهـم المصيري الى هـذا الشعب ، ويذرفون دمـوع التماسيح على الامه ومصائبه ، ويأخذون مبايعته لهم على انهم طليعته المثقفة الواعية الثورية التي ستنقله من مستنقع الظلمات والعبودية الى حدائق الفجر والحرية . هؤلاء المشعوذون الذين تخلـوا بعهر وقح عن هذا الشعب العربي في محنة لا اقسى ولا اهول غارقون بثمن عرقه الذي يخرون به وشلالات الدم التي يرقصون مع عشيقاتهم على ايقاعها . وما دامت الحرب لم تطل عواصمهم، فكل تفكيرهم منصب على العاصمة التي ستقوم مقام بـيروت الجزيرة التي يبيعون بها بضاعتهم من الحبر والورق والدجل ، ويقضون في ملاهيهـا ومقاهيها وغرفها الحمراء ليالي العمر ، ثم يؤوبون الـى اقطارهم في نشوة عارمة وجيوب منتفخة !. الا ان هذه الحرب كانت زلزالا حطم ابهتهم وغرورهم الفارغ ،ومطرا اذاب المكياج في مجاري وجوههـم الذابلة المتغضنة . وعلى شعبنا ان يتعلم مـن التجربة المكبيرة اشياء اساسية كثيرة . على شعبنا ان يعي ان الثقافة الزائفة التـي نمـا بها وترعرع ، اسهمت بشكل اساسي وفعال في نتائج الحرب الاهلية ، السلبية . عليه ان لا يقدم لمثقف ومبدع ذرة تقدير ، ان لم يقدم هذا المبـدع اصدق ما عنده ، واغلى ما يمكن ان يقدمه مـن ثقافة وابداع وحتى دمه ووقته،الاديب الذي يستحق الثقة والاحترام هو القائل « انا هو الاخر » (١) . وهو ايضا المناضل الثوري الذي يقول ، كما قـال الشهيد جورج ستيرن الى زوجته قبل ان يعدمـه الالمان ، بتاريخ ٧ مارس ١٩٤٤ « لا نحن ولا حبنا كل شيء في العالم ، هناك حياة بأسرها يمكنها

ممدوح عدوان
يتعذب في سجـــون دمشـق

● يتعرض الشاعر السوري التقدمي ممدوح عدوان ، لابشع انواع التعذيب ، في زنازين النظام السوري في دمشق .

وقد ألقي القبض عليه من قبل المخابـرات الكويتية وسلم للسلطة السوريه ضمن اطـار التنسيق القمعي بين الانظمة العربية اثر اتفاق القاهـرة .

وممدوح عدوان، من أهم الشعراء السوريين، وعرف دوما بالتزامه بقضايا الجماهير السورية وخصوصا الفلاحين الفقراء ، ورغم كل مـا كان يتعرض لـه من مضايقات ، كان يصر عـلى البقاء في دمشـق والتصدي للنظام الحاكـم . الا انـه في الفترة الاخيرة تعرض اكثر من مرة للتوقيف عدة ايام ، اضافة الى منعه مـن الكتابة حتى في الصحيفة التي يعمل فيهـا ، ووضع تحت المراقبة السافرة ، مما اضطره لان يحاول الهروب لاول مرة من سوريا ، وحـين وصوله الى الكويت محاولا دخول الحدود العراقية ألقي القبض عليـه من قبل السلطات الكويتية وسلم الى دمشق .

لقد كان الشاعر ممدوح عدوان في طليعـة المعارضين للتدخـل السوري في لبنان ، وتوقف اخيرا لهذه الاسباب .

فلنصرخ بصوت واحد قوي : أفرجوا عـن الشاعر ممدوح عدوان ، ضمير الشعب السوري التقدمي ، يا حكام دمشق .

ان تسعدنا او ان تشقينا ، نحن والاخرين ، اجل هذه السعادة التي تكبر عن سعادتنا ولكنها تحتويها في نفس الوقت ، وهبت حياتي » .

★ ★ ★

بعض المثقفين العرب ، يجدون مصالحهم في ان تقف حركة التاريخ ، ان يبقى الليل متمترسا بقوة الجلادين وانهزام او « ضعف » الفقراء . كان دور هؤلاء في مؤخرة القافلة المتجهة صوب الفجر . الا ان تقدم القافلة زعزعهم ، فارفضوا بهلع فاشي : منهم انتشروا خفافيشا تحلق فـوق القافلة بغية ضرب عيون جحافلها بأجنحة الليل ، الا انهم احترقوا بنور المشاعل ، ومنهم ايضا كان اكثر ذكاء ، واشد حقدا .. فقفز من المؤخرة الى مقدمة القافلة وصفوفها الامامية محاولا خداع المناضلين وايهامهم بأنه مستقبلـي ، الا انه فشل في المخادعة ، حين حاول ـ ولا يزال ـ الوقوف بوجه القافلة وشدها الى الوراء ، الى المـاضي لا الى المستقبل . الا ان القافلة ستتقدم ولو حبوا، وسيظل الظلاميون جثثا نافقة تداس بالاقـدام الثورية ، وسيكون الحاضر قبـرا كبيرا يبتلع العتمة !.

قد يطول هذا الحاضر ، ولكنـه سيلد اخيرا : المستقبل الشيوعي . هذا الضوء الذي لا مكـان فيه لخفافيش الظلام « المثقفين العرب » ،مثقفي الانظمة العربية !.

كيف نظر المثقفون العرب الى الحرب الاهلية في لبنان ، وكيف تعاملوا معها ؟.ان تناول نمـاذج تمثل الشرائح الاساسية في الحركـة الثقافيـة الرسمية ، والحركة الثقافية المستقلة في المنطقة، كفيل بايضاح الاجابة عن هذا السؤال .

■■ ١ ـ الحركة الثقافية الرسمية :

طالما ان تنظيمات واتحادات الكتاب والادبـاء العربية تابعة كليا للانظمة العربية القائمـة ، باعتبارها واحدة من التنظيمات (الشعبية) التي تنشئها الدولة ، فلا يمكن ان نفصل مواقفها عن مواقف الانظمة العربية .

★ في البيان الصادر عـن مؤتمـر الكتـاب والفنانين والمفكرين العرب الذي عقد في القاهرة ، ادان المثقفون المؤتمرون « القـوات الانعزاليـة والمرتزقة اللبنانية بدعم وتحالف من قوات نظام دمشق المتآمر .. » وناشدوا المثقفين والفنانـين والمفكرين في العالم الوقوف الى جانب المقاومـة والحركة الوطنية اللبنانية .

★ في برقية بعـث بها الكتـاب والفنانـون والمفكرون المصريون الى القيادة المشتركة لقـوات الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانيـة ، اعلن مرسلو البرقية تأييدهم الكامل للثورة والحركة الوطنية وشجبوا التدخل السوري وكـل تدخل اجنبي ، كما شجبوا كل « القوى الرجعية العربية المرتبطة بالامبريالية التي تسهم في تنفيذ المخططات الاستعمارية العربية » .

هذان البيانان كانا اهم ما صدر عـن الحركة الثقافية الرسمية ، ومن الملاحظ ان صدور البيانين له علاقة وطيدة بالتناقض الذي اثير قبل عقـد مؤتمر القاهرة بين النظامين السوري والمصـري حول اقتسام قرص الجبنة اللبنانية .

اما بقية الاتحادات الادبيـة لاذت بالصمـت المتواطىء اسوة بأنظمتها . ففي سورية تجاهـل اتحاد الكتاب العرب الدمشقي الحـرب الاهليـة اللبنانية والغزو السوري للبنان وضرب المقاومـة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ، الـى ان صدر بيان المثقفين في سوريا الذي لن احرمه من تحفظاتي لاسباب سأوردهـا حين تطرقـي للحركة الثقافية المستقلة . رغـم اناقة البيان وتغاضيه عن الدور السوري . رغم ذلك اثـيرت حفيظة اتحاد الكتاب العرب بدمشق ، وقـام بمحاولة اصدار بيان رسمي مضاد يؤيد المبـادرة السورية في لبنان ، وقد رفض التوقيع عليه كل من الشعراء ممدوح عدوان ، محمد الماغوط ، علي كنعان . ومثقفون اخرون ، مما اجهض المحاولة !.

اما اتحاد الكتاب اللبنانيين المعني بالحـرب مباشرة ،فقد اكتفى بالاجتماعات واصدار البيانات « المناشدة » لايقاف المؤامرة . ولكن بعد الجولة الاولى من الحرب انقطعت اخبار الاتحاد تقريبا الى ان قامت السلطات القمعية في الكويت بحل اتحاد الادباء الكويتيين ، حيث اصدر اتحاد الكتـاب اللبنانيين بيانا طالب فيه بالوقوف الى جانـب الاتحاد (الشقيق) مسجلا بذلك موقفا علـى اتحاد كتاب الكويت الذي لم يحرك ساكنا ازاء المؤامرة التي يتعرض لهـا الشعبان اللّبنانـي والفلسطينـي .

ان الدور النضالي الاساسي الذي كنا ننتظره من اتحادي الكتاب في لبنان وفلسطين ، هو القيـام بنشاطات ثقافية وصحافية واعلامية بين الجماهير الصامدة ومقاتليها ، بحيث تتعبأ سياسيا وروحيا ضد المؤامرة ومنفذيها وابعادهـا ، ببث الوعـي الثوري المساعد علـى الصمود والتصدي لكافـة اساليب التعدي التي مارسها اعداؤنا ، اضافـة الى فسح المجال للادب والفن لاخذ دورهما النضالي في المعركـة .

★ ★ ★

ان موقف الحركة الثقافية العربية الرسمية في الحرب ، يؤكد أن تنظيمات واتحادات الادباء فـي الوطن العربي شكلية مفرغة من اطروحاتها النظرية ومضامينها الثقافية والسياسيـة . ان الحقائق الملموسة تؤكد تغاضي تلك الاتحادات عن الاضطهاد الذي تلحقه انظمتهم بأعضائهم ، « فعندمـا يبدأ الشاعر بالتغاضي عن حقيقته ، فهو ينتهي حتما بالسكوت علـى حقائق الاخرين وآلامهـم ومآسيهـم » . (٢)

فماذا كان موقف الحركة الثقافية المستقلة في الوطن العربي من الحرب الاهلية في لبنان ؟!.

(١) آرثر رامبو : شاعر كوميونة باريس .
(٢) يوجين يفتوشنكو : شاعر سوفييتي ثوري معاصر .

هذا وجهها .. وهذا جسدنا

محمود الخطيب

هذا هو وجهها :
قراءة للحروف . للاسماء . للحظات التي جاءت وتجيء . للذي يرفع زندا .
قراءة للتواريخ والمشاعل والمواليد واللون الذي تصنع منه الالوان . وحكاية زيتونة مـن جدعها النار . ومن أوراقها الاكاليل والاوسمه والبيارق . ومن حباتها قلائد وطلقات .
قراءة للذي يقرأ عن فلسطيني ولد بين اللقمه والوطن . بين البرق والرعد . من لهفة الاب لحبوس بين الحدقات وحسرة الام المسباحه . فصار فارسا سيفه من الجوع وقلبه مرتقالة .
هذا هو :
مرآة . وتلك وجوههم .
حدقة . يقطر في عمقها الجرح . وتلك عيونهم ترتد وراء المقالات .
حنجرة . تطلق الصوت . وتلك أذانهم يسدها الوهن والخوف .
بشائر . للاعصار الذي جاء من الغربه والشفاء شاهرا القرار والفعل .
صرخة الضحى . تزلزل الصمت من أجل جرعه ماء . لقمة خبز . وطلقة . والصمت هو الصمت ! .
وتلك بشائرهم .
يد تفتح الكف وحبوب «الدشاديش» ودفاتر الشيكات للقابضين في مواخير الليل من اجل عاهرة ولذة .
عارية . تسهر في الدفء . والفهقهات . وعلى صدرها المئات . وخصرها المئات . وبطنها المئات . والفعل يشتري رجولته . لعابا وصابه . ويبيع الكون بخصلة شعر . بهزة رمش . وأهـة .
شفة . تذرف الكلمات . الكلمات . وليس غير الكلمات . وما رجوله الليل الا فحولة الخصيان في الصبح .
تلك بشائرهم .
خمائل ومرايا وزجاجات عطر وأقداح خمر وصبايا مستوردات .
والطفل الفلسطيني يرتعش في العراء . يرنو الى الحياه . وما الامنيات الا أياما تركض ليصلب العود وتشتد الذراع لتحمل مدفعية .

- ٢ -

هذا هو جسدنا .
المطعون من كل اتجاه .
ومن كل زاوية يرفع «مرونس» دراعه .
بقبضة وخنجر .
ويبيض الجسد بالآهات والصرخات ـ الى الوطن الكبير . من قطر الى قطر . ومن جسد الى جسد . ليوصل اللهفه باللهفة . والجرح بالجرح . فما الآهه الا بشارة الامات السجينة في مدى الصحارى . والشطآن . وعلى الضفاف . وما الصرخه الا نذير الهدير الاتي من الاجساد التي تنتفض في السر وتبرق بالاشارة .
هذا هو .
برقية من صرخة وطلقة .
للذي أغرقه النعاس . للذي أدار الوجه . للذي أراد النهار ـ مع الليل ـ ليلا . والصحو خدرا . ويرى النجوم مع الاقداح ولا يراها أوسمة على الهامات واسماء شهداء .
علامة . للذي لا يعرف الدرب .
للذي يعرف الدرب ولا يمشي .
للذي يمشي ويخشى المسافات .
فها هي الدرب . وهكذا نمشي . وما المسافات الا خطوة وتقصر .
هذا هو :
نبع . يهدر منه النهر .
فمن لا يعرف ان بين النهر والارض حياة ؟ .
وبين الحياة والوطن جسد ؟ .
هذا هو :
طرد تحمله الريح .
يحملها . ويحملنا اليكم .
أيها الراجفون من هبة الصوت . من وهج الرصاصة . ومن ضغط القذيفة .
أيها الخائفون من الجرح . ورائحة النزف .
هذا هو جسدنا .
خذوه .
نحن جعلناه للاجساد مغراسا ودشمة .